

اللغة العربية في خدمة مشروع التدريس- مراجعته نقدية لكتب تعليم الأدب العربي في المدارس الدرزية

د. يسري خيزران

باحث في معهد ترومان في الجامعة العبرية في القدس ويدرس في الجامعة المفتوحة.

مقدمة

يبلغ تعداد العرب الدرّوز في اسرائيل حوالي 110000 مواطن يتوزعون على 16 قرية وبلدة في الجليل والكرمل اضافة إلى حوالي 20 الف يقطنون أربع قرى في الجولان المحتل. هؤلاء رفضوا قرار الضّم الذي اتخذته الحكومة الاسرائيلية عام 1981 ورفضوا التجنّد في الجيش الاسرائيلي. إلى جانب هؤلاء يتوزع الوجود الدرزي في المشرق العربي بين سوريا ولبنان والاردن.

تأسس مذهب الدرّوز في القرن الحادي عشر في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وشكّل ظهور مذهبهم في كنف الخلافة الفاطمية في مصر افرازاً طبيعياً لحالة التعددية الثقافية والدينية التي لطالما امتازت بها الحضارة الاسلامية.¹ حافظ الدرّوز على خصوصيتهم المذهبية في ظل الدولة الاسلامية التي

تعاقبت على المنطقة منذ القرن الحادي عشر، وليس من قبيل الصدفة أن الدولة العثمانية التي دامت على مدى اربعة قرون اعتبرت الدرّوز جزءاً لا يتجزأ من الأمة الإسلامية أسوة بالمذاهب الإسلامية الأخرى كالشيعة الإمامية والزيدية والاسماعيلية والعلوية (Turkyimaz, 2009, pp. 158-9). التزم الإنتداب البريطاني (1920-1948) بالموروث العثماني ولم يُغير في الوضعية القانونية للدرّوز. إنما جاء التحوّل في هذا السياق بعد إقامة دولة اسرائيل.

امتازت السياسة الإسرائيلية وقبل ذلك سياسة الحركة الصهيونية لمشاريع متكررة تهدف إلى توظيف العقدة «الأقلوية» لدى الدرّوز سياسياً واستخدامها كأداة أمنية في التعامل مع المحيط العربي. تعزز اهتمام الحركة الصهيونية بالدرّوز في أعقاب اندلاع ثورة فلسطين الكبرى عام 1936. حيث سعى قادة هذه الحركة إلى البحث عن حلفاء انطلاقاً من فكرة تحالف الأقليات ضد الأكثرية العربية المسلمة. هذا التفكير بدأ بالتبلور عملياً على خلفية اندلاع ثورة

1 التوسع حول المصادر الفكرية للمذهب الدرزي راجع: David, Bryer (1975). The Origins of the Druze Religion. *Der Islam*, Vol, 52 pp. 48-84, 239-262 vol, p53 (1976) pp,5-27.

فلسطين الكبرى بين الأعوام 1936-1939. الاستراتيجية الأمنية الساعية إلى تسييس الخصوصية الدرزية وتوظيفها أمنياً انعكست في مشاريع عدّة أهمّها مشروع الترانسفير الذي أُعد عام 1939، والذي هدف إلى تهجير الدرّوز من الجليل والكرمل طوعاً إلى حوران في جنوب سوريا وتوطينهم هناك حيث أجرى بعض زعامات الحركة الصهيونية، أهمهم ابا حوشي، اتصالات مع الزعيم الوطني السوري سلطان باشا الأطرش بهذا الخصوص. إلا أن المشروع الصهيوني لم يلق تجاوباً لدى الأطرش. كان بعض القادة الاسرائيليين مغمورين بنشوة النصر في حرب 1967 وطرحوا مشروع إقامة دولة درزية في حوران والجولان كمنطقة فاصلة بين اسرائيل وسوريا (أبيبي، 2007، عم' 363-365).

أما على الصعيد الداخلي فجاءت سياسة الدولة لفصل الدرّوز عن محيطهم الثقافي والقومي من خلال الاعتراف بهم كأقلية دينية، ومن ثم كمجموعة قومية عام 1956، وإقامة محاكم خاصة بهم عام 1963 ليستبق ذلك قرار فرض التجنيد الأجنبي عام 1956 الذي استطاعت الدولة تمريره مستغلة الأحوال الاقتصادية والعقدة «الأقلوية» والتحالفات مع الزعامات التقليدية.² في العام 1969 اتخذت السلطات الإسرائيلية قراراً بإلغاء الاعتراف بعيد الفطر كأحد أعياد الدرّوز، وفي الوقت ذاته اعترفت بزيارة النبي شعيب في حطين كمظلة رسمية، وذلك إمعاناً في سياسة الفصل عن المحيط العربي الإسلامي (لوسستيك، 1985، عم' 40-139).

إلا أن سنوات السبعين بدأت تشهد تصاعدا ملحوظا

² للتوسع حول المحاكم المذهبية الدرزية راجع: نסים دנה وسلماون فلأخ، "معמד הדרחים וארגונם העדתי" בתוך: نסים دנה (عורך)، (מהדורה שנייה، רמת-גן: הוצאת אוניברסיטת בר-אילן، 1998)، عم' 170-159.

في مظاهر الاحتجاج عند الدرّوز ضد سياسة الدولة. جاءت نتائج التصويت للانتخابات البرلمانية لعام 1969 مؤشراً أولياً على تزايد مشاعر الإحباط والنقمة على السياسة العامة للدولة، حيث حصلت قائمة الحزب الشيوعي-رايح (פ"ק"ח) على ما يقارب 10% من مجمل أصوات المقترعين الدرّوز. أعقبت هذه بحدث -شكل نقلة نوعية في مؤسسة عملية الاحتجاج ضد سياسة الدولة- والذي تمثل- وللمرة الأولى- بتأسيس إطار منظم كان مرتبطاً عضوياً بالجهة الديمقراطية للسلام والمساواة، ألا وهو تأسيس لجنة المبادرة الدرزية والتي أعلن عن تأسيسها في شهر آذار عام 1972 في اجتماع عقد في منزل الشيخ فرهود فرهود في قرية الرامة. تبنى الاجتماع الذي انعقد النداء الذي وجهه الشيخ فرهود إلى ابناء طائفته لغاية 1971 وحدد فيه معالم النضال ضد السلطة ومواطن العُبن والإجحاف اللاحقة بالدرّوز، حيث أشار إلى ثلاث نقاط رئيسية: فرض التجنيد الإيجاري، ومصادرة الأراضي خصوصاً في الرامة وبيت جن والبقية والمغار ويركا، والتدخل في الشؤون الدينية للطائفة من خلال إلغاء عيد الفطر واستخدام الزيارات الدينية لأهداف سياسية.

نجحت اللجنة في تقديم عريضة حملت 8000 توقيع، رفعت إلى رؤساء الدولة، طرحت فيها أربعة مطالب أساسية هي:

- 1- إلغاء الخدمة العسكرية.
- 2- عدم التدخل في الشؤون والأعياد الدينية.
- 3- الكف عن مصادرة الأراضي وإعادة ما صودر.
- 4- تقديم الهبات والمساعدات المالية الفنية اللازمة لتطویر القرى الدرزية (لجنة المبادرة العربية الدرزية 2005 ص 16-18).³

³ وفي الواقع فإن الشيخ فرهود كان سابقاً في هذا السياق حيث

- انخراطهم في الخدمة العسكرية.
5. فسح المجال أمام لجان الآباء وأقسام التعليم في المجالس المحلية في القرى الدرزية لطرح تصور حول مدى ملاءمة معلمين ليسوا دروزاً لأداء مهنة التعليم في القرى الدرزية.
 6. إقامة نوادٍ شبابية في كل القرى الدرزية يتم تمويلها من الأموال الخاصة بالصندوق.
 7. دمج كل المدارس في القرى الدرزية في الجنداع (الحركة الشبابية العبرية) حيث تميل اللجنة إلى تفضيل تأسيس حركة مشتركة لليهود والدروز من أن يكون هناك حركة شبابية-عبرية خاصة بالدروز دون غيرهم.
 8. زيادة عدد الطلاب الدروز في كليات إعداد المعلمين ومنح تسهيلات خاصة للشباب الدروز الذين أنهموا خدمتهم العسكرية الإجبارية وكذلك الأمر بالنسبة لجنود الاحتياط (1967، 2012, מספח מספר 1, עמ' 11).
- أما فيما يتعلق بلجنة بن دور، فقد أوصت اللجنة بصريح العبارة بفصل المدارس الرسمية في القرى الدرزية عن دائرة التعليم العربي ووضع برامج تعليم خاصة بالدروز، أي وضع كتب تعليم في مواضيع العربية والعبرية والتاريخ والجغرافيا خاصة بالدروز دون غيرهم، مع استحداث موضوع التراث الدرزي وذلك لتطبيق الرؤيا التي وردت في نصّ توصيات اللجنة حيث جاء فيها ما يلي:
- قررت اللجنة أن هناك حاجة ماسة لتقوية الوعي الدرزي من خلال إعداد مناهج تعليم خاص بالمدارس الدرزية. يعبر أعضاء اللجنة عن قلقهم من أن الطلاب الدروز لا يحصلون على فرصة للتعرف على تاريخ طائفتهم ودينهم وعاداتهم، وبالتالي تؤكد اللجنة أن تطبيق هكذا برنامج تعليمي في هذه المجالات سيؤدي

أثارت هذه التطورات قلقاً حقيقياً لدى السلطات الإسرائيلية، حيث اعتبرت السلطات تزايد التأييد للحزب الشيوعي وتأسيس لجنة المبادرة مؤشرات على تراخي حلف الدم بين الدروز واليهود. لذلك لجأت الدولة في العام 1974 إلى تأسيس لجنتين، الأولى لجنة برلمانية برئاسة رئيس لجنة الداخلية التابعة للكنيست 1974م، والثانية لجنة الحكومة لشؤون العرب برئاسة الدكتور جبرائيل بن دور. قدمت اللجنتان توصيتهما في العام 1975. قدمت لجنة 1975م توصيات مفصلة وتطرقت إلى مجالات عدة أهمها الازدواج، الخرائط الهيكلية، التطوير الاقتصادي، الميزانيات، والتعليم وغير ذلك. إلا أن توصياتها في مجال التعليم تكتسب أهمية خاصة لأنها دلّت على الأهداف الوظيفية التي يجب أن يؤديها جهاز التعليم الرسمي لدى الدروز. خلصت اللجنة إلى ما يلي:

1. تشكيل طاقم في وزارة التربية والتعليم يكون مؤلفاً من مثقفين دروز ويهود بحيث يكون هذا الطاقم مكلفاً بمعالجة ملف التعليم لدى الطائفة الدرزية.
2. إدخال مفهوم الوعي الدرزي-الإسرائيلي في مناهج التعليم المعمول بها في المدارس الدرزية.
3. يتوجب ان يكون كل المعلمين والمربين في المدارس الدرزية من أبناء الطائفة الدرزية.
4. يجب دعوة ضباط جيش متقاعدين وذوي الاعاقات من الدروز (الذين اصيبوا خلال خدمتهم العسكرية) لإلقاء محاضرات أمام طلاب المراحل العليا حول خدمتهم في الجيش وذلك للمساعدة في تسهيل استيعاب هؤلاء الجنود الشباب عند

وجه في العام 1956 عريضة إلى رئيس الدولة اسحق بن تسفي طالب فيها بإلغاء التجنيد الاجباري.



والعبرية، التاريخ والتراث كان تأكيداً على الخصوصية الدرزية وبلورتها بمعزل عن محيطها الذي وُلدت منه، وتعاملت معه منذ القرن الحادي عشر.

اللغة العربية في مشروع التدريس

كتب اللغة العربية - والتي هي الرابط الثقافي الأساسي الذي يربط الدرورز بمحيطهم العربي - وظفت هي كذلك من أجل تحقيق هذا الهدف، حيث أن النصوص أختيرت لتصبّ في هذا السياق. فلاح نفسه لا يخفي ذلك ويوضح في كتابه الصادر عام 2000 عن دار النشر التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية بقوله: "هناك أدب خاص بالدرورز يشمل هذا الأدب نصوصاً أدبية نثرية وشعرية وضعت على يد أدباء وشعراء ومؤلفين دروز إضافة إلى نصوص مختصة بالشأن الدرزي والتي وضعت على يد مؤلفين ليسوا دروزاً" (פלדא, 2000, עמ' 215).

ستبين هذه الدراسة من خلال تحليل النصوص التي تشكل كتب تعليم اللغة العربية المعمول بها في المدارس الرسمية لدى الدرورز، كيف تم استخدام اللغة العربية - صلة الوصل الثقافية الرئيسية التي تربط الدرورز بمحيطهم العربي - من أجل تعزيز النعرة الطائفية الأنعرالية المعادية لمحيطها. ولعلّ تدنيّ التحصيل العلمي للطلاب الدرورز في مجال اللغة العربية بإعتراف القيمين على دائرة المعارف الدرزية خير دليل على ما نقول (Kramer, 1990, p. 26). فكتب التدريس التي تم تداولها في موضوع اللغة العربية منذ منتصف السبعينيات سعت - ومن خلال المغازي التربوية المبطنة والمأدلجة - إلى استعداد الأجيال الصاعدة لمحيطهم. بهذا المعنى فإن العربية سُخرت لهدف يناقض تماماً كينونتها الثقافية والقيمية.

حتماً إلى زوال الشعور السائد بالإحباط والناثق عن مشكلة الهوية (פלדא, 2000, עמ' 164).

في هذا يقول الباحث ماجد الحاج: «في مقابل التغييرات التنظيمية حدث هناك تحول هام في برامج التعليم من حيث تعزيز الهوية الدرزية والخصوصية الطائفية» (פלדא-ג'נ, 1996, עמ' 104-122). أما سلمان فلاح الذي عُيّن من أجل إنشاء وحدة التعليم الدرزي فيقول: "رأى الكثيرون أن معالجة ملف الدرورز في إطار الدوائر العربية في الحكومة هي أساس العلة" (פלדא, 2000, עמ' 195).

في عام 1975 أوضحت وزارة المعارف الأهداف المتوخاة من جهاز التعليم الدرزي حيث حُددت كالتالي: تأسيس التعليم على قيم الثقافة الدرزية العربية. انجازات العلم الحديث وسعي إسرائيل إلى السلام مع جيرانها وحب الوطن والولاء لدولة إسرائيل. هذا إضافة إلى تعزيز العلاقات المميزة بين اليهود والدرورز وتوسيع الإلمام بالثقافة اليهودية وبلورة الكيان الدرزي الإسرائيلي. تطبيقاً لهذه الأهداف، بدأ منذ العام 1975 بوضع منهاج وبرامج تعليمية خاصة بالمدارس الدرزية في مواضيع التاريخ، اللغات -العربية والعبرية- واستحداث موضوع التراث الدرزي الذي حظي بمباركة القيادة الدينية التقليدية، بعد أن ضمنت أنّ تدريس التراث لن يتضمن أيّاً من النصوص الدينية السرية الخاصة بالمذهب الدرزي (פלדא, 1997, עמ' 24-22). وان لم يكن مُعلنًا بصريح العبارة من وراء وضع برنامج تدريس خاص بالمدارس الدرزية من قبل لجنة خبراء دروز ويهود، كان تعزيز ولاء الجيل الصاعد للدولة وتعزيز الهوية الطائفية الإنطوائية المنعزلة عن المحيط العربي والإسلامي. المنطق التربوي والأيدولوجي الذي طُبّق في مجال تدريس العربية



بهذا المعنى فإن التوجه واضح، وهو تفرغ اللغة من مضامينها القومية الثقافية والتاريخية وعزلها إلى حد بعيد عن محيطها وسياقها وكأن الحركة الأدبية في المحيط العربي لم تتأثر بالتطورات السياسية أو التحولات الثقافية والأيدولوجية التي شهدتها المنطقة في مرحلة ما بعد زوال الاستعمار الغربي المباشر.

امتداداً لذلك وليس من قبيل المفاجأة أنه تخلو كتب تدريس الأدب العربي من كتابات ونصوص تميّزت بطابعها الثوري. فإذا ما راجعنا كتاب المنتخب بالمرحل المتعددة لن نجد أي نص يتّسم بذلك لأدباء وشعراء عُرف عنهم نزعتهم الثورية أو المتمردة على النظام السياسي أو الاجتماعي القائم، فلا حضور لنزار قباني أو عبدالرحمن الشرقاوي أو محمد الماغوط أو مظفر النواب أو أحمد مطر أو عمر أبو ريشة وغيرهم كثر ممن عملوا بمبدأ السارتريّة القائلة بضرورة انخراط المثقف في حركة تغيير الواقع وتوعية الجماهير واعتبار الأدب رسالة قبل أي شيء آخر.

إستثناء كتابات أهمّ الأدباء الفلسطينيين هو علامة مميّزة أخرى لمنهاج التعليم العربي في المدارس الدرزية. فكتب الأدب للمراحل الإعدادية والثانوية لا تشمل أي نصّ شعري أو نثري لكلّ من محمود درويش، غسان كنفاني، معين بسيسو، وجبرا ابراهيم جبرا، أكرم زعيتر، إبراهيم طوقان، إميل حبيبي، كمال ناصر، انطون شماس، خليل السكاكيني، محمد عزة دروزة وغيرهم. أما ما اختير من شعر سميح القاسم فهي قصيدة يتيمة هي قصيدة «أبي» في تجاهل صارخ للكلم الشعري الهائل للقاسم (المصدر السابق، ص. 119-121).

المنطق التفرغي ذاته ينسحب على آلية الانتقاء عند

التعامل مع الشعراء والأدباء العرب في العصر الحديث. فمن شعر نزار قباني وقبح الاختيار على قصيدتين هما وشاية وشباك، في تجاهل متعمد ومكشوف لكل القوائد ذات التوجهات الثورية او العروبية او التمردية او التغييرية (المصدر السابق، ص. 69-70).

مُميز آخر تمتاز به كتب الأدب هو تجاهل شبه مطلق لعصر النهضة التي اعتبرته الباحثة اللبنانية اليزابث كَسَّاب بدايةً للفكر العربي المعاصر. فإذا ما راجعنا كتب الأدب المذكورة لن نجد نصوصاً لأعلام النهضة العربية في القرن التاسع عشر - مطلع القرن العشرين مثل المعلم بطرس البستاني، سليمان البستاني، اديب اسحاق واحمد فارس الشدياق، وجرجي زيدان وأمين الريحاني وناصر اليازجي وفرح انطون وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا وغيرهم (Kassab, 2010, pp. 17-47).

أراد القيمون على تعليم العربية في المدارس الدرزية تجاوز هذه المرحلة لما كان لها من انعكاسات وتحولات جذرية على صيرورة اللغة وكون هذه المرحلة شكلت الانطلاقة الفكرية للحركة القومية العربية. كما أن كتابات عصر النهضة دعت إلى استنهاض العرب من غفوتهم وتجديد اللغة وحركة الابداع بها خارج سياق الدين وجعلها وسيلة لتأسيس مجتمع جديد يقوم على استيعاب الحداثة الأوروبية الغربية مع كشف كنوز الحضارة الإسلامية. وهذا لا يتفق مع التوجهات الايدولوجية لواضعي المنهاج الذين ارادوا بالأساس كما جاء في نص توصيات لجنة بن دور - تعزيز ولاء الدرروز للدولة وللشعب اليهودي وتعزيز الهوية الطائفية المتوقعة المنعزلة عن مصادرها وجذورها.

الانتقائية المألجة هي صفة أخرى اختصت بها

الاجتماعية للطالب كما انه يختص باللغة. إلا ان القيمين على التعليم في المدارس الدرزية أثروا تجاهله رغم بعده الفكري واللغوي المباشر بواقع الطالب. هذا التجاهل في سياق الانتقائية المأدجة الرامية إلى جعل تدريس العربية وسيلة للحصول العلمي لا تتجاوز وظيفتها في التواصل بين الجماعة إلا انها لا تلعب دوراً في تكوين خصوصية الجماعة والحفاظ عليها.

التدريس ينعكس ايضاً في انتقاء نصوص أدبية لمؤلفين من أصل درزي حتى وإن كانت هذه النصوص لا ترتقي إلى مستوى نصوص أخرى كان يمكن الاستعانة بها لاثراء العملية التعليمية. بمعنى هناك تعمد الإتيان بنصوص لمؤلفين مولودين دروزاً حتى وإن لم يكن هؤلاء مصنفين على انهم أدباء على مستوى العالم العربي او لنقل حتى ولو كانت هناك إمكانية للاستعاضة عن نصوصهم بنصوص لأدباء أكثر شهرة وبروزاً وإنتاجاً في العالم العربي. فعلى سبيل المثال من أصل 62 نصاً صُنفت في الكتاب المعد للصف التاسع جيء ب 14 نصاً لمؤلفين دروز. بمعنى أنّ حصّة النصوص الدرزية وفقاً لمنطق واضعي المنهاج التعليمي هي حوالي 25% من مجمل النصوص في حين أنّ حصّة الأدباء الدروز من مجمل الادباء العرب من ذوي المكانة لا يصل إلى هذه النسبة إطلاقاً (المنتخب للصف التاسع 1996). الأمر ذاته بالنسبة لكتاب المنتخب للصف الثامن حيث ان 11 من 64 نصاً هي لمؤلفين دروز (المنتخب للصف الثامن 1996). المنطق ذاته طبق فيما يتعلق بالنصوص الأدبية في موضوع اللغة العبرية، حيث يشير الباحث ياسر سليمان إلى أن العديد من هذه النصوص هي لمؤلفين دروز ترجمت إلى العبرية (Suleiman 1994 p. 230).

النصوص الأدبية. هذه الانتقائية انعكست في تجنب اختيار أي نص أدبي له مدلولات سياسية او أيديولوجية أو تاريخية تنزع نحو تأكيد صلّة الدروز بمحيطهم العربي والأسلامي. فمن كل ما كتبه أرسلان في أمير البيان وقع الاختيار على قصيدة يتيمة هي قصيدة شكوى وافتخار وتم تجاهل أهم مؤلفاته وعلى رأسها كتابه النقدي النهضوي «لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟»⁴ حيث نشر أرسلان مئات المقالات قصراً عن آلاف الرسائل والخطابات وعشرات القصائد، واتسم أسلوبه بالفصاحة وقوة البيان.

كما تجاهل القيمين على كتب التدريس مقالة لارسلان غايةً في الأهمية وضعها عام 1391 هجري تحت عنوان الدروز او بنو معروف بإجماعهم عرب اقحاح. حاول ارسلان من خلالها توظيف اللغة لاثبات انتماء الدروز إلى المحيط العربي حيث يقول ارسلان:

في نقاوة لغتهم العربية وإخراجهم الحروف من مخارجها الصحيحة فلا تجد في الخارج عن الجزيرة العرب من يتكلم بالعربية مثل - الدروز ولا من يتلفظ بالعربية مثل الدروز وأن المرأة منهم لتسوق الحديث بعبارة إن لم تكن معربة فهي فصيحة صريحه متينة مستعملة فيها الكلمات بالمعاني التي وضعت لها فتجدها أصح لغة من الرجل العالم النحوي من غيرهم. والفصاحة التي اشتهر بها الدروز رجالاً ونساءً آتية من كونهم عرباً (ارسلان 1990 ص71).

مثل هذا النص يمت بصلّة مباشرة لواقع الحياة

4 راجع شكيب ارسلان لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم (بيروت: دار الفكر للجميع 1969)



الأمر لا تختلف كثيراً في كتب الأدب للمرحلة الثانوية. ففي كتاب المنتخب للصفين العاشر والحادي عشر نجد ان 10 نصوص من أصل 30 مصنفة تحت باب نثر حديث وهي لمؤلفين دروز في حين انه 15 نصاً من أصل 66 في كتاب الثاني عشر هي لمؤلفين دروز (المنتخب للصفين العاشر والحادي عشر 1996 ص 64-145 ص 178-239 والمنتخب للصف الثاني عشر 1997) .

فعلى سبيل المثال في باب النثر الحديث المؤلف من المقالة والقصة- كتاب المنتخب من الأدب العربي ونصوصه للصفين العاشر والحادي عشر، لجأ القيمين على كتب الأدب إلى انتقاء 14 نصاً، 6 نصوص منها لمؤلفين دروز، بعضهم لا يمكن تصنيفهم بأي حال من الأحوال تحت خانة أدباء محليين أو على المستوى العربي. أبرز مثال على ذلك هي قصة الشيخ سليم لسلمان فلاح التي تمّ موضعها جنباً إلى جنب مع قصص للمنفلوطي والمازني وسليمان البستاني ومارون عبود وغيرهم (المنتخب للصفين العاشر والحادي عشر 1996 ص 69-145). إلا أن البعد الآخر الذي يقف وراء آلية الانتقاء تتعلق بالمضامين. أو ما أسميناه هنا الرسائل المبطنة، فقصة الشيخ سليم التي تتحدث عن شاب درزي «ومن بيت مشايخ» اضطر إلى الهجرة والزواج من غير درزية والانقطاع عن مجتمعه ومن ثم يصف المؤلف حالة التخبط التي عاشها الشيخ سليم الذي بلغ السبعين من عمره حاملاً معه ذكرى تكاد تفقد صوابه كلما تذكر ذكرى فقدانه أمه وأبيه دون ان يراهم (المصدر السابق ص 130-134). من الواضح أنّ المؤلف الذي كان قيماً على وضع برامج التعليم في المدارس الدرزية أراد من وراء إدخال هذا النص التنظير للتوقع الطائفي من خلال طرق مسألة

حساسة طالما احتلت جزءاً في الخطاب الدائر في المجتمع العربي وهي مسألة الزواج المختلط. فالنص الأدبي الذي من شأنه تعريف الطالب على ثقافته ومحيطه العربي تحول إلى أداة لتوقعته اجتماعياً وثقافياً. قصيدة رجوع للشاعر المحلي نزيه خير تنصب في نفس سياق التوقع الديني والطائفي.

فهذه القصيدة تتناول عقيدة التّمص التي اختص بها مذهب التوحيد الدرزي وكانت نصوص الأدب العربي هي الإطار التعليمي الذي يجب من خلاله إبراز العقائد الدينية لدى الدروز (المنتخب للصف الثاني عشر 1997 ص 133). ألا يكفي التراث الدرزي ذلك الموضوع المستحدث لتعريف الطلاب الدروز بعقائدهم وتاريخ مذهبهم؟ أهو من قبيل الصدفة الإتيان بنص شعري ينظر لعقيدة التّمص التي يختص بها مذهب التوحيد الدرزي دون غيره؟ أليس بالحري الإتيان بنصوص شعرية تؤكد على الجامع الثقافي والتاريخي ما بين الدروز وأولئك الناطقين بالضاد من حولهم؟ ولماذا يجب ان تكون العربية التي هي القاسم الثقافي الأساسي المشترك لسكان هذه المعمورة مؤطرة في سياق درزي صرف؟

هذه الانتقائية المألجة تنعكس أيضاً من تناول الشعر في العصر العباسي، حيث خصّص واضعو الكتاب باباً للشعر الفاطمي مؤلف من 7 نصوص في حين خصّص للشعر المشرقي في العصر العباسي 11 نصاً. 4 من النصوص الشعرية المصنفة فاطمياً تختص بالمذهب الدرزي ولها خصوصية دينية عقائدية هي للأمر سيف الدين التنوخي والشيخ الفاضل والشيخ الكفر قوقسي (المنتخب للصفين العاشر والحادي عشر ص 170-77) فهؤلاء الذين تقدم ذكرهم هم رموز وأعلام دينية وليسوا بأي حال من الأحوال رموزاً معروفة في مجال الأدب العربي

الاختيار مثلاً على القصص الأخرى للأنبياء والتي يعجج بها النصّ التوراتي كقصة يعقوب ويوسف الصديق والملك داوود وجليات، ابراهيم، والذبيح وقصة الملك سليمان الحكيم وغيرها الكثير؟

الخلاصة

إن منهج التعليم الذي وضعته وزارة المعارف بناء على توصيات لجنّتي بن دور وشخترمن جاء ليخدم إيديولوجية محددة يمكن تلخيصها بتعزيز الهوية الطائفية الدرزية- الانطوائية لدى الأجيال الجديدة وكذلك الولاء الايديولوجي والسياسي لدولة إسرائيل والإمعان في الانعزال عن المحيط العربي- الإسلامي، وبالتالي فإنّ تدريس اللغة العربية بأدبها ونصوصها في المدارس الدرزية ينصب في نفس السياق. فاللغة العربية والتي من المفروض ان تشكل وسيلة ثقافية للتواصل والتعرف على ثقافة الذات أصبحت أداة لإعادة إنتاج الوعي وتأطير النشأ الجديد بما ينسجم مع الفكر الأقلوي» الذي جاءت به الايديولوجية الصهيونية.

اللغة التي اعتبرها ساطع الحصري متأثراً بفيلسوف القومية الألمانية يوهان غونثليف فيخته محور الفكر القومي العربي معتبراً أنّ اللغة هي روح الأمة وحياتها وهي بمثابة محور الانتماء القومي وعمودها الفقري والأساس في تكوين الأمة وبناء القومية، هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ (عيسى 1999 ص 164) .

تصبح في منهج التعليم الدرزي أداة إضافية للحصول العلمي لا غير وتفقد دلالتها القومية وكأنّ إحياء اللغة العبرية لم يكن إحدى مرتكزات النهضة القومية للحركة الصهيونية منذ بدايتها.

ولا زلت أذكر مقولة أحد المدرسين الذي كان يُدلي أن تنطق بالعربية لا يعني أنك عربي. فاليهود الشرقيون

وكتابتهم لم تتعد السياق الدرزي الديني، وبالتالي فإنّ اختصار الإنتاج الأدبي الغزير للعصر الفاطمي بنصوص شعرية أو نثرية مختصة بالأساس بمذهب الدرزي هي محاولة لاغتصاب اللغة والأدب وتوظيفهما في غير ما أريد لهما.

اختيار هذه النصوص من بين آلاف النصوص التي أفرزها العصر العباسي تصب في نفس السياق الرامي إلى التقوقع الطائفي - المذهبي من خلال استقراء نصوص شعرية صنفت على أنها فاطمية، في سياق الرسائل المبطنة يندرج أيضاً نصّ «نصيحة يترو لموسى» في كتاب المنتخب للصف التاسع وتحت باب «نصوص دينية». لم يجد القيمين على تعليم العربية في الوسط الدرزي إلا المجيء بهذا النصّ الذي يقصد منه إعادة إنتاج الوعي حول تاريخية وأقدمية حلف الدمّ ما بين الدرزي والدولة اليهودية، فما يُراد من هذا النص هو أن يُعاد بالحلف ثلاثة آلاف سنة إلى الوراء عندما قدم يترو نصيحته القضاة لموسى (المنتخب للصف التاسع 1996 ص 229-230) .

ما يُلفت الانتباه في هذا النصّ أمران اثنان: الأول أنه من كلّ التوراة وقع الاختيار بالتحديد على هذا النصّ لانه يُعتبر المرتكز الاساسي لجوقة التنظير حول التحالف التاريخي بين اليهود والدرزي كأقليتين مضطهدتين بدأت العلاقة بينهما بنصيحة قدمها يثرو نبي الدرزي في إسرائيل لموسى بني اليهود وزوّجه ابنته تسيبورا (Derfner, 2009).

الأمر الثاني أنّ يترو ذكر باسمه التوراتي وليس باسمه المتداول عربياً بإيحاء من النصّ القرآني ألا وهو شعيب وذلك في إشارة ضمنية إلى استبعاد المدلول العربي للاسم .

السؤال الذي لا يمكن تجاوزه هنا هو لماذا لم يقع



مراجع باللغة الانجليزية

- Derfner, L. (2009). *Covenant of Blood*. *The Jerusalem Post*, January 15, 2009.
- Kassab, E. (2010). *Contemporary Arab Thought*. New York: Columbia University Press.
- Kraemer, R. (1990) *Social-Psychological Factors Related to the Study of Arabic among Israeli Students*, unpublished Phd. Dissertation, School of Education, Tel Aviv University.
- Suleiman, Y. (1994). *Arabic Sociolinguistics: Issues and Perspectives*. Richmond: Curzon Press.
- Turkyimaz, Z. (2009). *Anxieties of Conversion: Missionaries, State and Heterodox communities in the late Ottoman Empire*. Unpublished thesis, University of California, Los Angeles.

مراجع باللغة العبرية

- אביבי, ש. (2007). *סס נחושת, המדיניות הישראלית כלפי העדה הדרוזית*. ירושלים: הוצאת יד בן צבי.
- אלחאג', מ. (1997). *זהות ואוריינטציה בקרב הערבים בישראל*. מדינה, ממשל ויחסים בינלאומיים, 41 - 42: 104-122.
- חלבי, ר' (1997). *מערכת החינוך של הדרוזים*, 1975-1995. ירושלים: האוניברסיטה העברית.
- לוסטיק, א. (1985). *ערבים במדינה היהודית*. חיפה: מפרש.
- ניסן, מרדכי. ישראל במזרח. ירושלים: הוצאת ראובן

كانوا ينطقون بالعربية إلا أنهم لم يكونوا عربياً وكذلك الأمر بالنسبة للأمريكيين والكنديين والانجليز والاستراليين، كلهم يتحدثون الانجليزية إلا أنهم لا يشكلون أمة واحدة.

إن تعليم اللغة العربية في المدارس الدرزية هو جزء لا يتجزأ من سياسة تدريز الدروز التي بدأ تطبيقها منذ منتصف السبعينيات وانعكست بشكل واضح على آلية اختيار النصوص الأدبية. هذه الآلية اتّسمت بإلغاء البعد الفلسطيني وتهميش المدلول القومي والثقافي للغة. وتجاوز كل ما من شأنه أن يتناول عوامل التواصل ما بين الجماعة ومحيطها. النهج الأيديولوجي نفسه كان وراء وضع النصوص التعليمية في مجالات التاريخ والعبرية والتراث الدرزي وغيره، فكون السواد الأعظم من الموحدين الدروز في سوريا ولبنان في وعيه وممارسته وتوجهاته السياسية والفكرية مندمجا في المحيط، متفاعلا معه، متناغما مع تحولاته تعكس في رأي القائمين على التعليم الدرزي الشذوذ وهم بفكرهم الانعزالي يمثلون القاعدة.

إن مناهج تعليم اللغة العربية في المدارس الدرزية يحاول قسراً إلغاء العلاقة الجدلية ما بين اللغة والهوية. ولعلّ أزمة الهوية التي تعيشها الأجيال الجديدة اليوم هي من إفرازات هذه المناهج التي لم تتورع حتى عن توظيف العربية لإلغاء الانتماء العربي لمجتمع الدروز داخل إسرائيل.

מס, 2010.

פלאח, ס. (2000). *הדרוזים במזרח התיכון*. ת"א: משרד הביטחון.

פראג', ס. (2012). *הנושא הדרוזי בכנסת ישראל*. מסקנות הוועדה המשותפת לוועדת החינוך והתרבות וועדת הפנים של הכנסת לחיזוקה של העדה הדרוזית בישראל.

مراجع باللغة العربية

ارسلان، ش. (1990). *الدروز أو بنو معروف بأجمعهم عرب اقحاح في: الامير شكيب ارسلان بنو معروف اهل العروبة والاسلام*. بيروت: دار العودة والمجلس الدرزي للبحوث والانماء.

عيسى، م. ع. (1999). *نظرية الحصري في القومية العربية: جدلية الاثبات والنفي في: ساطع الحصري: ثلاثون عاما على الرحيل*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

لجنة المبادرة العربية الدرزية (2005). *الشيخ فرهود قاسم فرهود*. شفاعمرو: دار المشرق.

المنتخب من الادب العربي ونصوصه للصفين العاشر والحادي عشر (1996). *جامعة حيفا كلية التربية فرع المناهج الدراسية*.

المنتخب من النصوص الادبية للصف الثاني عشر (1997). *جامعة حيفا كلية التربية فرع المناهج الدراسية*.

المنتخب من النصوص الادبية للصف التاسع جامعة حيفا (1996) *كلية التربية فرع المناهج الدراسية*.

كتاب المنتخب من النصوص الادبية للصف الثامن (1996). *جامعة حيفا كلية التربية فرع المناهج الدراسية*.